جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات اسلامية معاصرة / العدد 42 / كانون الاول 2024

دراسة المستوى الصوتي للخطب السياسيّة للإمام الحسن (ع) في ضوء المنهج التداولي

Studying the vocal level of political speeches By Imam Hassan (peace be upon him) in the light of the deliberative approach

م.م أحمد حسن غافل المعموري
Asst.lec. Ahmed Hasan Ghafil AL Mamouri

أ.د. روح الله صيادي نجاد
Prof. Dr. Rouhollah Saiiadi Nezhad

ايران/ جامعة كاشان الحكوميّة / قسم اللغة العربيّة و آدابها
Iran\University Of Kashan Government / Department of Arabic Language and Literature

الكلمات المفتاحية: المنهج التداولي، التحليل النقدي للخطاب، اللغة السياسية، الإمام الحسن (ع)، الخطابات السياسيّة و الاجتماعيّة.

Keywords: communicative approach, critical analysis of discourse, political language, Imam Hassan, political and social discourses.

الملخص:

التحليل النقدي للخطاب يعدّ من الدراسات البينيّة، فهو يدرس وظيفة اللغة في المجتمع والسياسة. في الواقع، يستخدم الناشطون والسياسيون في المجتمع «اللّغة» كأداة وسلاح للتأثير وإقناع جمهورهم قدر الإمكان وإيصال ايديولوجيتهم ورسالتهم بأفضل وأسهل ما يمكن. الخطاب السياسي هو خطاب يوجهه المشرعون إلى مجموعة من الناس يتحدثون فيه عن مشاكل الحكومة. لقد كان هذا الخطاب أفضل وسيلة لإقناع وتنظيم مجموعات كبيرة من الناس في أثناء السلم والحرب لآلاف السنين. بناءً على هذا حاول الباحثان في هذه الورقة البحثيّة باتباع المنهج التداولي دراسة المستوى الصوتي للخطب السياسيّة للإمام الحسن. قد ينمّ هذا البحث عن أنّ الإمام الحسن هو رجل السياسة، ورجل اللباقة، ورجل الفصاحة، والبلاغة. ونلاحظ أنّه يعني بالألفاظ بوضوح وخطبه في حادثة الصلح وما بعد الصلح، قوية وحاسمة. إنّ الإمام الحسن (ع) يختار من الألفاظ ما كانت أصواتها متناغمة مع معانيها، ومجسّدة لها. في حين أنّه بحسب المواقف يتمتع بالأصوات المختلفة. كثيراً ما يستعين بكلمات ذات حروف لين؛ لأنها أكثر تأثيراً من غيرها، وأبلغ في السمع. الإمام الحسن (ع) يميل إلى ارتفاع بصوته في مقدمة الخطب وخاتمتها مستخدما الجمل الإنشائيّة والخبريّة. الملقي يوظف جناساتٍ يستسيغها السمع وتستأنس بها النفس. الإمام الحسن كملقٍ بارعٍ يوظّف السجع في مستهل خطبه ليلفت اهتمام جمهور مخاطبيه.

Abstrac:

Critical analysis of discourse is an interdisciplinary study, it examines the function of language in society and politics. In fact, activists and politicians in society use "language" as a tool and weapon to influence and convince their audience as much as possible and to communicate their ideology and message as best and easily as possible. Political speech is a speech that legislators address to a group of people in which they talk about the problems of government. This discourse has been the best way to persuade and organize large groups of people during peace and war for thousands of years. Based on this, the researchers in this research paper are trying to study the vocal level of Imam Hassan's political sermons. This research may indicate that Imam Hassan is a man of politics, a man of tact, a man of eloquence, and a man of eloquence. We note that he means in words clearly and his speeches in the reconciliation incident and after the reconciliation, strong and decisive. Imam Hassan chooses from the words whose sounds are in harmony with their meanings, and embody them. While depending on the situations he enjoys different voices. often uses words with soft letters; Because it is more influential than others, and informed in hearing. Imam Hassan tends to raise his voice in the introduction and conclusion of sermons using structural and news sentences. Al-Mulqi employs alliterations that are palatable to hearing and used by the soul. Imam Hassan is a brilliant flatterer who employs rhyme at the beginning of his sermons to attract the attention of his audience.

المقدمة:

معظم الأحداث السياسية من حولنا، مثل أخبار الحرب ومحادثات السلام و... يتم خلقها بالكلمات. لقداستخدم السياسيون والقادة الفكريون في المجتمع منذ فترة طويلة اللغةَ باعتبارها الأداة الأكثر شيوعًا وفعالية وقوة في توجيه المجتمعات البشرية والسيطرة عليها. في الواقع، يستخدم الناشطون والسياسيون في المجتمع «اللّغة» كأداة وسلاح للتأثير وإقناع جمهورهم قدر الإمكان وإيصال ايديولوجيتهم ورسالتهم بأفضل وأسهل ما يمكن. السياسة هي السلطة الحاضرة، واللغة هي السلطة الغائبة[1].

التحليل النقدي للخطاب يعدّ من الدراسات البينيّة، فهو يدرس وظيفة اللغة في المجتمع والسياسة. وفي هذا الصدد، يدرس التحليل النقدي للخطاب "اللغة" كفعل وظاهرة اجتماعية فيما يتعلق بالإيديولوجية والسلطة والتاريخ والمجتمع على مستوى النص المنطوق والمكتوب[2]. حسنًا، أنت تعلم بالفعل أن المحاضرة السياسية هي خطاب يلقيه القادة في الأماكن العامة حيث يتحدثون عن مشاكل الحكومة. يمكن للنخب السياسية التحدث إلى الناس عن طريقها، ويمكن للنخب السياسية التحدث إلى بعضهم البعض من خلالها. لقد كانت أفضل طريقة لإقناع مجموعات كبيرة من الناس وحملهم على العمل معًا في السلم والحرب على مدى آلاف السنين. في عهد الإمام الحسن (عليه السلام)، ولاسيّما بعد معاهدة الصلح مع معاوية، أصبح التحدث شائعًا جدًا.

بديهيّ أنّ الخطاب السياسي يعدّ من أكثر الخطابات القديمة والحديثة ذيوعاً، وأقواها نفوذاً وأشدّها تأثيراً في توجيه حياة المجتمع السياسيّ. وهذا شيء، وشيء آخر هو أنه لم تكن هناك دراسات لغوية كثيرة تناولت الخطاب السياسي بمعناه الأوسع، سواء أفي الداخل أم الخارج. بناءً على هذا فأنّ الباحثين في هذا البحث يحاولان باتباع المنهج التداولي من خلال دراسة اللغة السياسيّة للإمام الحسن (ع). تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن قوّة تأثير لغة الخطاب السياسيّ للإمام الحسن (ع) في الجماهير، وتبيّن للقرّاء مدى أثر أساليب الإمام الحسن (ع) الخطابيّة المتنوعة في إقناع متلقّيه.

اسئلة البحث:

1. أيّ أصوات فضّلها الإمام الحسن (ع) في خطاباته السياسيّة؟
2. لماذا استخدم الإمام الحسن (ع) في بداية كلامه العبارات المسجعة؟
3. أيّ طبقات صوتيّة نجدها في الخطب السياسيّة للإمام الحسن (ع)؟

ـ الدراسات السابقة:

بالنظر إلى المواقع العلمية داخل القطر وخارجه نجد مؤلّفات مستقلّة وبحوثات قدأنجزت ونشير إليها فيما يلي:

– عبدالسلام المسدي(2008م) في مقال موسوم باللغة والسياسة يسلط الضوء على ارتباط اللغة والسياسة وبالعكس.

– رباب صالح حسن (2014) في بحث بعنوان خصائص الأسلوب في خطب الأمام الحسن (ع) تطرّق إلى بعض الفنون البلاغيّة والبيانيّة كالتضمين، والاقتباس، والثنائيات الضديّة، والتوازي. وتوصّلت الباحثة إلى أنّ

شكل الطباق ظاهرة متآزرة مع هيكليّة الخطب في إحكام وشدّ البناء الموضوعي والدلالي والإيقاعي للخطب. هذا المقال منشورٌ في مجلة العميد، المجلد 3، سنة 2014.

– سالم بن محمد بن سالم المنظري (2015) في كتابه الموسوم بـ "الترابط النصيّ في الخطاب السياسي" في ضوء نظريّة هاليداي ورقية يتطرّق إلى تحليل الروابط البنيوية والدلالية وفي المعاهدتين السياسيتين للنبي وهما "الحديبية" و"الثقيف".

– عماد عبداللطيف(2015) في كتابه الموسوم ب«الخطابة السياسيّة في العصر الحديث» يقدم تأريخاً موجزاً للخطابة السياسيّة في مصر في القرن العشرين وأوائل القرن الحادي العشرين.ويخصص فصلا من الكتاب لدراسة الخطب السياسيّة التي ألقاها الرئيس الأمريكي للعالم الإسلامي وعبدالناصر وأنور السادات وحسني مبارك.

– الشرقاوي، محمّد، (2016م)، في كتابٍ موسومٍ بـ «الخطاب العام الأمريكي في الانتخابات الرئاسية: الصراع الأيديولوجي والتنازع الهوياتي»، أظهرت الدراسة لماذا يوجد المزيد من الدعوات إلى العنف اليميني والدعوات إلى الإصلاح اليساري في الخطاب العام الأمريكي. نظرت في القضايا على مستوى اللغة والرؤية السياسية والعمل الجماهيري الأيديولوجي. والبحث عن الفرق بين "نحن" و"المجموعات البيضاء من أصل أنجلو ساكسوني" و"هم"، والتي تشمل المهاجرين والأقليات والمسلمين، كما وصفها المرشحان الجمهوريان دونالد ترامب وتيد كروز في خطابيهما. فضلاً عن البحث عن الفرق بين قيم التعددية والتعايش والبوتقة الثقافية التي يدعمها المرشحان الديمقراطيان هيلاري كلينتون وبيرني ساندرز. كما تبحث في كيفية تأثير القصص المختلفة والانقسام المتزايد والمناوشات الجسدية أحيانًا بين أنصار ترامب ومعارضيه على الرأي العام في الولايات المتحدة. كما تشرح لماذا أصبح تنظيم الخطاب العام وتحديد معنى القيادة في واشنطن ساحة معركة أخرى بين المرشحين.

– سعيد، محمد بصل فراس، (2017م)، في بحث بعنوان «استخدام وسائل الإعلام السياسية في خطاب المقاومة من عام 2006 إلى عام 2011م كمثال للخطاب في الخطاب السياسي»، وبحسب هذا البحث فإن "الخطاب الإعلامي السياسي لعب دوراً كبيراً في تحديد سلوك المتلقي بشكل أو بآخر" في عالم أصبحت فيه الإشارات والخطابات غنية بالمعاني ويهدف أصحابها إلى أسر المتلقي.

السعيدي، خالد إسماعيل صاحب (2018) في تأليف موسوم بـ«الخطاب السياسي لدى الإمام الحسن المجتبى (ع) دراسة في البعد التداولي» تناول أفعال الكلام و الحجاج في خطبه السياسيّة.

– صالح سلطان، مهدي(2020) في كتاب موسوم بخطب الإمام الحسن (ع) (دراسة لغويّة في ضوء المناسبة) قام بشرح بعض الخطب من حيث المنهج الشكلاني.

– قاسمي، رضا علي (2021م) في بحث موسوم بـ«استخدام قنوات العربية والجزيرة والميادين والعالم كأمثلة، يحلل هذا المقال كيفية تناول وسائل الإعلام العربية لإيران في ضوء أطروحة دايك»، (يُعتقد أن وسائل الإعلام تستخدم أداتين –المبالغة والتهميش– إما للتأكيد على المعنى المقصود والأيديولوجية المرغوبة أو لتقليصها ونقلها بشكل غير مباشر إلى الجمهور. تستخدم وسائل الإعلام العديد من التكتيكات والأساليب لتحقيق غرضها، بما في ذلك الاستراتيجيات اللغوية).

– هوشنک آقايي وآخرون (2023) في مقال معنون ب«دراسة اللغة السياسيّة للنبي الأعظم» تناولوا المستويات النحويّة والمعجميّة والبلاغيّة في الخطابات السياسيّة للنبي الأعظم.

بناءً على ما تقدم لم نجد بحثا تطرق الى الخطب السياسيّة للإمام الحسن (ع) في المستوى الصوتي وهذا البحث بديع و جديد من حيث الفحوي والهيكليّة.

ـ أهداف البحث:

هنالك ثلاثة أهداف للبحث حول دراسة اللغة السياسية للإمام الحسن (ع) في ضوء المنهج البراغماتي:

1. تحليل الخطاب السياسي للإمام الحسن (ع) باستخدام المنهج التداولي لفهم كيفية استخدامه للغة لتحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية.

2. استكشاف كيفية توظيف الإمام الحسن (ع) للأساليب البلاغية والبيانية في خطاباته السياسية لإقناع المتلقين وتحفيزهم على التفاعل والاستجابة.

3. الكشف عن الاستراتيجيات اللغوية والتداولية التي اعتمدها الإمام الحسن (ع) في التعامل مع الخصوم السياسيين وإدارة الأزمات والصراعات في ضوء المنهج التداوليّ.

هذه الأهداف ستساعد في فهم عمق وتأثير اللغة السياسية للإمام الحسن (ع) وكيفية توظيفها لتحقيق أهدافه السياسية والاجتماعية.

2. المباني النظريّة للبحث

اولاً: الخطاب ((Discours) لغةً واصطلاحاً:

لفظة الخطاب لها معان عدة، يقال: "خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخطبه، أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان. وورد في المعجم الوسيط الخطاب يعني الكلام، فالخطاب في المعاجم يعني الكلام المتبادل بين المتخاطبين. إن مراجعة الكلام تشير إلى اللغة التي يستخدمها الأفراد في عملية التواصل"[4]. وفقًا لقول الزمخشري، الخطاب في اللغة العربية يعني الكلام أو الحديث أو اللغة المستخدمة بين شخصين، أي لغة التفاعل[5].

وقال الله عزّوجلّ: (فقال أكفلنيها وعزتي في الخطاب)[6]. وقد ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، فمنها ما جاء على صيغة الفعل في قوله تعالى:(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)[7]، والمصدر في قوله تعالى: (وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب)[8]، أي: أتيناه البيئة وزوّدناه بقدرة على الكلام البليغ، «وقد فسّر الزمخشري فصل الخطاب بقوله: «إنّه البيّن من الكلام المخلص الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس عليه»[9].

اهتم علماء الأصول بتحديد معاني للخطاب بقولهم: هو أحد مصدري فعل خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم بمعنى الكلام المشار به[10]. لقد نظروا إلى الخطاب بوصفه جنسا خاصا من الكلام، فقد عرف الخطاب لدي العلماء في الثقافة العربيّة بأنه كل كلام قيل قصد إفهام الغير، "ويعني أن الخطاب هو الكلام الموجه إلى المخاطب (المرسل إليه) في سياق ما، والغاية منه إفهام الغير والتأثير فيه. نجد التهانوي الذي اعتبر الخطاب أنه: الكلام الموجه للغير قصد الإفهام[11].

أول من أشار إلى مصطلح الخطاب وتحليل الخطاب هو زليك هاريس «.Harris» كان هاريس متأثرا شديد التأثر باللسانيات العامة وما جاء في كتابات دي سوسير «De Saussure» واقترح لأول مرة هذا المصطلح وله الدور الريادي في إرساء قواعد تحليل الخطاب. ولا يخرج تحليل الخطاب عند هاريس عن دراسة الدور الوظيفي للغة في سياق الاستعمال انطلاقا من القول بأن كل عناصر اللغة متماسك بسياق الاستعمال وتحليل الخطاب مهم لفهم اللغة وعملية لغوية بحتة[12]. يبحث تحليل الخطاب عن كيفية استخدام اللغة في المجتمع وهو في تعبير آخر تحليل للغة والسياق الذي تستخدم فيه اللغة والمقصود هو السياق النصي. إذن يعتبر «هاريس» أول لساني تحدث عن حدود موضوع البحث اللساني، الذي كان يدرس الجملة كأصغر وحدة قابلة للتحليل والدراسة وبعد ذلك انتقل إلى النص كأكبر وحدة.

لا يفوتنا أن نشير إلى الفرق بين النص(text) والخطاب (Discours) وأكد هذا سعيد يقطين ويرى أن النص أشمل من الخطاب. هذا يعني أن الخطاب جزء من النص. حيث يرى أنّ الخطاب يفترض وجود متلقّي لحظة النطق به شفويّاً. امّا النّص فهو مدوّنة كتابيّة وليس بالضرورة وجود ظروف الإنتاج. ظروف الإنتاج توجد في الخطاب وليس في النص. والخطاب جمع بين مستويات اللغة المتمثلة في المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، والدلالي، وظروف الإنتاج المتمثلة في الزمان، والمكان، والسياق، التخاطب المتخاطب.

ثانياً. الخطاب السياسي (Discours Politique):

قبل التطرّق في مفهوم الخطاب السياسي و معرفة خصائصه ونشأته ومميّزاته، وُجب علينا أن نعرف السياسة. إذا نظرت إلى الجذر (س و س) فإن كلمة السياسة تأتي من الفعل (ساس). ولعل المعنى الذي تحدث عنه ابن منظور (ت 711ه) هو أقدم معاني الكلمة منذ العصور القديمة. فقد بدأ وصفه للجذر بهذا المعنى: هناك لغتان تسمى سوس وساس. وهما تشبهان الحشرة التي تقع في الصوف والثياب والطعام. وقد ألفها ابن منظور. وبناء على ما يقوله ابن صيدا فإن السوس هي العثة والسوسة هي الدودة التي تأكل الحبوب. وكلمة "سوس" يمكن أن تعني أيضًا المرض الذي يهاجم ظهر الحيوان فيقتله، تمامًا مثل الدودة التي تصيب النباتات وتقتلها. والمعنيان يشتركان في شيء واحد: أنهما مرضان يؤذيان أو يقتلان شيئًا. قال "ابن سدة: مادّة س و س". يمكن استخلاص السمات الدلالية التالية من المعنى السابق وتلخيصها:

1-الانغلاق.

2-الوصول التدريجي إلى الهدف، لأن الأفكار لا تأتي إليك دفعة واحدة، بل ببطء.

3- الكذابون والمخادعون. من خلال التفكير في المقارنة الحديثة لشخص يتسلل ويكذب للحصول على ما يريد (جيدًا أو سيئًا) بمرور الوقت وفي السر، يمكننا القول إن هذه السمات صحيحة: "هذا الشخص دودة".

4- كان يحكم الحيوانات، ولكن فقط إذا اعتنى بها وعلمها تطوير السمات التي يريدها. تبرز هنا سمتان: التدرج والمكر.

5- السياسة تعني رعاية شيء ما بطريقة تجعله أفضل، وقد حكم الأمر سياسياً. لقد تولى المهمة، وهذا ما يعنيه القول إنه أدار القطيع: ساس الوالي الرعية يسوسها سوسا وسياسة، إذا ملك أمرهم»[13].

ويُعرف الخطاب السياسي: هو كلام يوجه إلى الجماهير في مناسبة من المناسبات. وهو عملية نقل المعاني ذات الدلالة السياسية المرتبطة بعمل النظام السياسي. والخطاب السياسي هو كلام الحكومة أو السلطة أو القادة المنطوق للهدف السياسي[14]. هو خطاب إقناعي، حجاجي يتخذ من اللغة والسياسة فضاء له، ويهتم بالأفكار والمضامين. وفي هذا المفهوم هدفه الإقناع والتأثر في الشعب أو الجمهور. إن الخطاب السياسي موجها لتحقيق غاية وهدف، بارتكازه على الأفكار، فالمرسل يهتم بالفكرة ولا يعبر الكثير من الاهتمام بالألفاظ، وهذا يؤكد أن الفكرة في الخطاب السياسي هي الأساس..أي أنه يعبر عن منظومة تفاعلية من أراء وأفكار من أجل تحقيق أهداف.

ثالثاً. التداوليّة (pragmatics) لغةً واصطلاحاً:

التداوليّة (Pragmatics) بالإنكليزيّة و(Pragmatique) بالفرنسيّة إن الكلمة اليونانية "براغما" . التي تعني "فعل" أو "عمل" . هي أصل المصطلح الإنجليزي الذي نستخدمه. وهي مدرسة فكرية داخل الفلسفة نشأت من دراسة اللغة واستخدامها في سياقات معينة، بهدف فهم أفضل للمعنى الأساسي للكلمات والعبارات خارج نطاق الجمل والنصوص الفردية. ولذلك، فمنذ نشأتها في الغرب، وخاصة بين المفكرين الأنجلوساكسونيين، أهملت هياكل الجمل لصالح أفعال الكلام داخل وخارج الكلمات المنطوقة. والفكرة التي تدعم البراجماتية بسيطة للوهلة الأولى ولكنها معقدة بسبب متغيراتها وتداخلها مع مجالات أخرى. وكانت الفكرة هي النظر إلى الكلمات بوصفها مجموعة من العبارات التي قد تؤدي نشاطاً أو تنقل فكرة. فعندما يعلن زعيم ديني أو مسؤول مدني لزوجين حديثي الزواج "أعلنكما زوجاً وزوجة"، فإنه لا ينطق بعبارة فحسب؛ بل إنه يؤدي طقوس الزواج. وهذا عمل من أعمال الخطاب البراجماتي[17].

يرجع مصطلح التداولية في الأصل العربي إلى الجذر اللغوي دول وتداول ولها العديد من الدلالات، ولكن لم تخرج عن معنى التحول، فقد ورد في معجم لسان العرب لابن منظور: تداولنا الأمر، أخذناه بالدول وقالوا: دواليك أي المداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة"، ومن الملاحظ من خلال المعجم أنها لا تكاد تخرج من معاني التحول والانتقال والتغيير في اللغة العربية فهي متحولة لدى المتكلم إلى السامع ومتنقلة بين أفراد المجتمع ومتداولة فيما بينهم.

لقد ورد في كلام الله عز وجل: (إن يمسسكم قرح فقد من القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهدا والله لا يحب الظالمين)[18]، لفظة نداولها تعني درات الأيام أي يوم لكم ويوم عليكم، يوم سعيد ويوم حزين، القرح. كما أكد "خليفة بوجادي" أن جل معانيها لا يخرج عن إطار التحول الانتقال، كما ورد في معجم "مقاييس اللغة": "الدال والواو واللام أصلان، أحدهما يدل على تحول شيء من مكان إلى مكان، والآخر يدل على استرخاء، وإندال القوم إذ تحولوا من مكان إلى مكان، وتداول القوم الشيء بينهم، أي صار من بعضهم إلى بعض". ومن هذا المفهوم فالتداولية تعني التحول والانتقال[19]. نستنتج أنها تعتني بالخطاب وجل اهتمامها اللغة، والخطاب يشكل موضوع في قمة الأهمية أنه يسمح لأفراد المجتمع تداول وتناقل المعلومات

والآراء والمعارف فيما بينهم. يلاحظ من الناحية الاصطلاحية أن لكل عالم تعريفه، ولا يوجد تعريف دقيق محدد وهذا السبب يرجع إلى المعرفية المتعددة التي أخذت منها التداولية ومن بين التعاريف:

«التداولية دراسة العلاقات بين اللغة والسياق، وقد تميز اهتمامها في هذا المستوى بدراسة اللغة وربطها بسياقاتها الخاصة، وهي كذلك دراسة لظواهر بنية الخطاب اللغوي من تضمينيات واقتضاءات أو ما يسمى بأفعال اللغة[20]؛ يعدّ التداولية علماً فهي تدرس الخطاب والعلاقة القائمة بين اللغة والسياق، فالتداولية تهتم بالسياق الذي تستعمل فيه اللغة وتعتني بالمعنى الذي تحمله الألفاظ والجمل.

إن التداولية تهتم بالبعد الحجاجي قبل أن تهم بالبعد التواصلي، فالقول حجاجي في مستواه الأول قبل أن تكون له مهمة تواصلية، وللتداولية مهمتان: أولا تحديد الأعمال اللغوية المهمة وتحليل الأعمال المتضمنة في الأقوال، أما الثاني تعيين خصائص سياق التلفظ[21].

ظهرت في الترجمات والتعريف للتداوليّة أسماء عديدة من بينها: «البراغماتيّة » أو «التداولية اللسانية»، أو «الذرائعية» أو «التخاطبية»، أو «السياقية» أو «الذرائعية» أو «الذريعية» أو «الفائداتية»، أو «الفوائدية» وغيرها، لكن أبرز اللسانيين العرب مالوا بمعظمهم إلى التداولية أو التداولية اللسانية[22]،«محمود عكاشه» يميل إلى «البراجماتيّة اللسانيّة»[23] Linguistic pragmatics ويرى أنّ استخدامه بلفظه المعرّب (البراجماتية) أدق تعبيراً عن مفهومها لأنه يحمل دلالته في ثقافته الأصلية، ولا مقابل عربياً له يحمل دلالته الفلسفية الغربية التي تعنى تحصيل كل وجوه المنافع، والقرينة الوصفية (Linguistic) للتفرقة بينه وبين المصطلح الفلسفي (Pragmatism) وهى دلاله دخيلة على الثقافة العربية، ويرجع تاريخ انتقال المصطلح (Pragmatics) إلى الدرس اللساني العربي إلى صدر ستينات من القرن العشرين تقريباً، وهي الفترة التي ظهرت فيها البراجماتية اللسانية في الدرس العربي، وترجع الترجمات الأولى إلى علماء المعاجم اللسانية في هذه المدّة. جدير بالذكر أنّ ترجمته إلى « الذرائعية"» ولأن "الحجة" تعني "الوسيلة المؤدية إلى شيء ما"، فهي غير صحيحة دلالياً. فقد زُعم أن شخصاً ما طلب التدخل باستخدام ذريعة. والمصطلح الجذري هو ذيل الذّر[24]. وفي البراجماتيّة ينصب التركيز على الفوائد العملية لأقوال المرء أو أفعاله. والترجمة الأكثر دقة من وجهة نظر لغوية هي الفوائدية، في حين نُشرت أحدث ترجمة (الفائداتيّة) في أوائل الستينيات. وأشهر هذه الترجمات، "التداولية"، ظهرت بعد ذلك. وفي أوائل السبعينيات، ظهرت لأول مرة[25]. ويرى عكاشة أنّ أقرب الترجمات العربية إليه بمفهومه الغربي الذي يقوم على الغرض من الطلب والمصلحة "النفعية" أو "علم الغاية"، وهو أقرب إلى تحصيل الغرض الحسى الذي يربط بمفهومه الفلسفي، و"الذرائع " لا تحمل هذا المعنى بل تعنى الوسيلة والطريق إلى شيء، وبعضهم اختاروا الأداتية، وآخرون استخدموا علم المقاصد"، و"القصدية"، المقاصدية "، ولفظا "القصد" و "المقصد" يتضمنان المراد من الاستعمال اللغوى المقيد بسياقى اللغة والمقام بيد أنّهما لا يتضمنان المفهوم الفلسفي، وهما يرتبطان بمصطلح أصيل في التراث الفقهي(المقاصد) وأشهرهم الدكتور طه عبدالرحمن الذي تناول «علم المقاصد» عند علماء الشريعة. وهو استخدام موفق في هذا الموضع وغير موفق في الحديث عن البراجماتيّة[26].

والهدف الأساس للبراجماتية اللسانية دراسة اللغة في حيز الاستعمال متجاوزة حدود الوضع الأصلى المباشر في بعض السياقات التي لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة من الكلام، بل يقصد المعنى السياقي غير المباشر؛ «لذلک جاء السياق بعداً جوهريّاً في التداوليّة إلى حدّ دخل معها في تعريفها إذ يشير جيفري ليتش (G.Leech) إلى فكرة مقامات الكلام.... وأنّ العناصر المكوّنة لهذا المقام تتمثّل في المرسِل، والمستقبل، والسياق، والأهداف، والمقاصد، وقوّة فعل الكلام، والملفوظ ورأى أنّه من الممكن أن يضاف إليها عنصر الزمان، والمكان»[27].

رابعاً- **الإمام الحسن (ع)، حياته الذاتيّة والسياسيّة:**

أطلّ الإمام الحسن(ع) على العالم الإسلامي في المنتصف من شهر رمضان المبارك. كان منارة للباحثين لأنه نشأ في بيت مقدس طاهر، تتدفق فيه البركة والصدقة. كان أبو محمد كنيته، وكان يُعرف أيضًا بالمجتبى والحفيد والنظيف والورع. خلال إمامته التي استمرت عشر سنوات، تعرض الإمام الحسن (ع) للتسمم في مناسبتين منفصلتين: الأولى في الثامن والعشرين من صفر سنة 50 هـ، والثانية في السابع من صفر من نفس العام، من قبل زوجته جعدة بنت الأشعث، بناءً على إلحاح معاوية. ويبلغ من العمر الآن 47 عامًا. ووفقًا لرغبته في المدينة المنورة، دفنه الإمام الحسين (عليه السلام) في البقيع إلى جانب جدته فاطمة بنت الأسد[28] وحادثة صلح الإمام الحسن (ع) مع معاوية حادثة فريدة ومصيرية في صدر الإسلام، ولم يكن لدينا مثل هذا الحادث من قبل. أما فيما يتعلق بصلح الإمام الحسن نستطيع أن نقول: إنّ أيّ شخص، حتى أمير المؤمنين نفسه، لو كان مكان الإمام الحسن المجتبى ووضع في هذا الموقف فلا يمكن له أن يفعل غير ما فعله الإمام الحسن. لا يمكن لأحد أن يقول إن عمل الإمام الحسن موضع شك. لا، كان عمل ذلك النبيل متسقًا بنسبة مأئة بالمائة مع المنطق الذي لا يجوز المساس به. وللصلح عوامل ولم يكن هناك انتهاك أو هروب منه. في ذلك اليوم لم يكن الاستشهاد ممكنا. وأي قتل ليس استشهادا: فالقتل مع الظروف هو استشهاد. ولم تكن تلك الظروف موجودة، ولو قُتل الإمام الحسن (ع) في ذلك اليوم لما استشهد. لقد جعل الإمام الحسن المجتبي التدفق الأصلي للإسلام – الذي بدأ من مكة ووصل إلى الحكومة الإسلامية وزمن أمير المؤمنين وزمانه – يجري في قناة أخرى، ولكن إذا لم يكن في شكل حكومة، لأنه لم يكن ممكنا، ثم على الأقل تتدفق مرة أخرى في شكل حركة. وهذه هي الفترة الثالثة من الإسلام. الإسلام حركة مرة أخرى. لقد بقي الإسلام النقي، الإسلام الأصيل، الإسلام المضاد للظلم، الإسلام العنيد، الإسلام البعيد عن التشويه، والخالي من أن يكون لعبة الأهواء؛ لكنه بقي في شكل حركة[29]، وببركة الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) حافظ هذا التدفق القيم للحركة الإسلامية على الإسلام. ولو لميكن الإمام حسن المجتبى قد عقد هذا الصلح، لما بقي ذلك الإسلام قيمة حركية ولكان قد اختفى لأن معاوية كان سينتصر في النهاية. لو كان المقصود أن يستمر الإمام المجتبى (ع) في الحرب مع معاوية ويؤدي إلى استشهاد أهل البيت لقتل الإمام الحسين في نفس الحادثة، وكان ينبغي أن يقتل كبار الصحابة، وكان ينبغي أن يقتل حجر بن عدي. لو قُتلوا، كان ينبغي أن يُقتلوا جميعًا، ولن يبقى من يبقى ويستطيع استغلال الفرص والحفاظ على الإسلام بشكله القيم. وهذا حق عظيم للإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) على بقاء الإسلام. بالطبع، تم فرض السلام، ولكن في النهاية تم تحقيق السلام.

3.العمليّة التحليليّة للبحث

إن هدف كل خطاب سياسي هو التأثير على جمهوره ضمن إطار تاريخي وجغرافي وثقافي ونفسي معين باستخدام عبارات وبيانات محددة سلفاً. وترى المدرسة الفكرية الاتصالية أن كل خطاب سياسي، مهما طال أم قصر، يتألف من سلسلة من الأفعال التي لا يستطيع المتحدث أن يفهم نواياها إلا من خلال التركيز على العبارات والكلمات الفردية بدلاً من الجمل المكتوبة نفسها. وفي حين لا تزال العقلانية هي الأداة المفضلة في المناقشة السياسية، فإن استمالة المشاعر تشكل تكتيكاً شائعاً[30].

اللغة هي أقوى وسائل التعبير لأنها تنقل التفاهم المشترك بين المتكلم والمستمع، مما يسهل عملية الاتصال ويعزز الشعور بالتقارب والقبول لدى المتكلم. إن أقوى رابط بين أي جماعة أو بلد يتكلم بها أعضاؤها هي اللغة المشتركة، وبالتالي إذا أحسن المرسل استخدامها كانت عنصراً قوياً مؤثراً في الرأي العام[31]. يستخدم الإمام الحسن عليه السلام عبارات وجملاً مختلفة تبعاً لحجم وتركيبة الجمهور المباشر، مما يؤثر بدوره على مكانته الدينية والاجتماعية ونجاحه في الوصول إلى أهدافه. حقّاً أنّ الفكرة في الخطب هي الأساس. «ومن ينظر إلى الخطب السياسيّة للإمام الحسن يجد الوضوح فيهما، بينما أنّه يهتمّ بالأفكار والمضامين.. إنّ الإمام الحسن المجتبى كان اكثر حضوراً في الميادين والتيارات وفي الأخبار من الإمام الحسين(ع). هو رجل السياسة، ورجل اللباقة، ورجل الفصاحة، والبلاغة. هو قوى جداً في المجادلات والمباحثات، حينما يرسل الكلام، نجد أنّ شعر جسم الإنسان يقف مستقيماً[32].

الباحثان في هذا البحث يريدون تسليط الضوء على اللغة السياسيّة للإمام الحسن في مستوى الصوت، ونترك المستويين التركيبي والدلالي في مجال آخر.

إن الخطاب السياسي، كما هو الحال في أي نوع من الخطابات، يستخدم وسائل لغوية متنوعة في جميع المستويات اللغويّة للتأثير على المتلقي وإقناعه بالأفكار والتوجهات التي يريد إيصالها. تختلف معاني الأصوات لأنها تعبر عن أفكار مختلفة. يستخدم المتحدث أدوات صوتية مختلفة للتعبير عن أفكار مختلفة أثناء العرض. في هذا القسم، سنتحدث عن أجزاء الصوت التي تساعد في التواصل من خلال أدوارها الدلالية في الأداء. (Speech Performance).

1.الإيقاع Rhythm

الإيقاع هو العلاقة بين الأصوات في الكلام أو الموسيقى والتي تظهر في الطرق المختلفة التي تستخدم بها الكلمات وكيفية تجميعها. كما أنها تشمل العلاقة والتوازن بين الحروف الساكنة والحروف المتحركة والمقاطع الطويلة والقصيرة وكيفية تطابقها وتزاوجها في العبارات والجمل. يعتمد الإيقاع على فكرة النظام والتي تتعزز بفكرة التوازن التي تجعل المتلقي يشعر بالارتياح وتغير الطريقة التي يتلقاها بها. هناك طريقتان للحصول على الإيقاع: مستوى الكلام ومستوى الكتابة[34]. الايقاع يؤدي دورًا مهما في تكليف المعنى، من خلال انسجامه مع أجواء النصوص ومعانيها، حيث تعبر الخطب السياسيّة للإمام الحسن عن المعاني بالألفاظ، ويختار من هذه الألفاظ ما

كانت أصواتها متناغمة مع معانيها، ومجسّدة لها. لا يحتاج الباحث إلى عناء كبير ليثبت أنّ اتزان الإيقاع في الخطب شيء يقصد إليه الملقي قصداً، دون أن يكون ذلك بالطبع على حساب المعنى المطروح.

الإمام الحسن (ع) حينما أراد أن يحرّض الناس لنصرة على عليه السلام كثيراً ما استخدم الأصوات المجهورة على سبيل المثال أنظروا إلى الفقرة التالية: «**معاشر الناس! إنّ طلحة والزبير قد بايعا عليا طائعين غير مكرهين ثم نفروا و نكثا بيعتهما له فطوبى لمن خف فى مجاهدة من جاهده، فان الجهاد معه كالجهاد مع النبى صلى الله عليه وآله**»[35]. الجهر في الأصوات ناتج عن اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازا منتظما يحدث صوتا موسيقيا[36]. لأن الجهر يعني ارتفاع الصوت، فالصوت المجهور له صفات القوة والتأثير التي لا توجد في غيره من الأصوات، والإثارة والتحريض جيدان للجهر، وهذا يحتاج إلى أصوات واضحة حتى يمكن نقلها وفهمها بشكل صحيح، والصوت اللغوي وتأثيره على المؤثر يجب أن يظهر المعنى الغريب بتفصيل أكبر ويلفت الانتباه إليه لأنه خطير عليه، وفي وسط الجملة ترتبط الأصوات المجهورة أخلاقياً بالإثارة والتحريض، وكل ذلك يتفق ويكمل معنى الآية الكريمة.

الإمام الحسن (ع) حسب المواقف تمتع بالأصوات المختلفة. هو في المواقف المتشدّدة ولا سيّما المواقف الحربيّة استخدم بنى صوتيّة شديدة تنسجم مع أفق ذلك المعنى. على سبيل المثال انظروا إلى الخطبة التاليّة تلقيها في ذم اصحابه لتثاقلهم عن الجهاد:«**والله ما منعنا الضعف ولا الحياء من قتال أهل الشام، كنا نقاتلهم بالسلام والهدوء، أما الآن فنقاتلهم بالغضب والغيظ، كنتم تقفون أمامنا، تقدمون دينكم على حياتكم اليومية، أما الآن وقد ضعفتم، فقد أصبحت حياتكم اليومية قبل دينكم، كنا معكم وكنتم معنا، أما الآن فأنتم ضدنا، ومنذ ذلك الحين أصبحتم قتيلين، قتيل عند صفين تبكون عليه، وميت عند النهر تريدون الثأر له، الباكي كاذب، والمريد الثأر له ثائر، بل إن معاوية قد ذكر شيئاً لا شرف فيه ولا عدل، إن كنتم تريدون الحياة فسنأخذها منه ونتغافل عن التراب، وإن كنتم تريدون الموت فسنتركه لله ونخبر الله به، فناداهم الناس: بل راحة وحياة**»[37]، كما نلاحظ أنّ الملقي في كلامه استخدم أصواتا انفجاريّاً كالهمزة، والجيم، والقاف، والكاف والدال و..... الأصوات الانفجاريّة تعطي الصوت قوّة. موقف الحرب الصعب وضيق المقام، وخيبة الإمام الحسن من أصحابه في المشاركة في الحرب اضطره إلى استخدام الحروف المذلقة كـ« فاء، راء، ميم، اللام، و الباء».

واستعان الإمام الحسن كثيراً بكلمات ذات حروف لين؛ لأنها أكثر تأثيراً من غيرها، وأبلغ في السمع، مثل: ثنانا، نقاتلهم، العداوة، دينكم، دنياكم و.... ويستخدم الإمام الحسن (ع) غالبا كلمات ذات مقاطع متساوية أو متقاربة أو نجد أيقاعاً متوحداً بين التراكيب؛ على سبيل المثال أنظروا إلى الخطبة التي ألقاها؛ وبيّن فيها علل صلحه لمعاوية: «**أيها الناس، إن أعقل الناس من كان له دين، وأغبى الناس من كان له دين. ونحن وأخي الحسين بين جبليق وجبرئيل جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد علمتم أن الله هداكم بجدي محمد، وحفظكم من الضلال، وعلمكم حين كنتم جهلاء، وأثنى عليكم حين كنتم صغارا، وكثركم حين كنتم قليلا. وحاجني معاوية في حق كان لي، فنظرت إلى خير البلاد وزوال الفتن. ووعدتموني بالولاء ما دام أنكم قد رضيتم بصلح من سالمته، ومحاربة من قاتلته. فقررت أن أضع الحرب مع معاوية وأصالحه، وعاهدته على الولاء، ورأيت أن كف**

القتل خير من الخوض فيه. لم أقصد شيئًا آخر غير مساعدتك وإبقائك على قيد الحياة، وأنا أعلم ذلك... قد يكون اختبارًا لك ووقتًا ممتعًا لفترة من الوقت»[38].

عندما يتم مطابقة جملتين من حيث الوزن، يمكنك أن ترى أنهما متطابقتان تقريبًا في الشكل، والطول، والنهايات؛ حتى أن لديهما مفردات متطابقة. ك«جابلق /جابرس؛ أحمق الحمق / أكيس الكيّس؛ هداكم/ رفعكم؛ ذلّة / قلّة؛ صلاح الأمّة / قطع الفتنة؛ تسالموا / تحاربوا؛ صلاحكم / بقائكم. وبسبب عدم وجود تناسق صوتي منتظم ومستمر لأصوات معينة، يقوم المتحدث أيضًا بتغيير الإيقاع استجابةً للتغيرات في الحالة المزاجية والمفهوم.

يلاحظ أن الإمام الحسن استخدم الكلمات والجمل التي تنتهى بالكم في الخطاب المباشر في مثل «صلاحكم»، «بقائكم»، «لكم» وأيضا استخدم «تم» و مثل: تسالموا، تحاربوا». إن تكرار حرفي "م" مع ضميري المخاطب "ط" و"كاف" يشكل إيقاعاً مؤثراً للمتلقي ويوحي بروح الجماعة والمودة والحب والوحدة بين الناس. ومن خلال تقسيم الخطاب إلى مقاطع أصغر وضبط طول كل جملة مع الحفاظ على الخاتمة الموحدة، تمكن من إرساء إيقاع يؤثر على عواطف المستمع. وباختصار، كان إيقاع الخطاب المميز أصيلاً وغير مخطط له ومعبراً عن فعالية المتكلم في السياق المعطى وانخراطه فيه ورد فعله الفوري عليه كعضو مطلق. لقد استدعت الضرورة ذلك، وكانت الوتيرة المتنوعة تعكس المفهوم والصورة والعاطفة مع تسليط الضوء على القوة التعبيرية للكلمات والعبارات. ولم يقتصر الأمر على مجرد انتقاء الألفاظ اللينة، بل امتد إلى تناغم وتناسق هذه الكلمات في تركيب الجمل والعبارات. فالإمام الحسن كان بارعًا في نظم الخطاب بطريقة موسيقية رشيقة، تشد انتباه السامعين وتنساب في أذهانهم بسلاسة. وبذلك أصبح الخطاب أكثر تأثيرًا وإقناعًا في نفوس المستمعين. وفي تبيين علّة صلحه لمعاوية يخطب هكذا: «الحمد لله كلما حمده حامد وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى، وائتمنه على الوحي (صلى الله عليه واله)..... ثم التفت الى الجماهير فقال لها: "إن المفلسين منا أسخفنا، والمتدينين منا أنصعنا أيها الناس، ولن تجدوا بين جبليق وجبرئيل غيري وأخي الحسين الذي جده رسول الله صلى الله عليه وآله، والله إن جدكم محمد صلى الله عليه وآله كان سبيلاً أنقذكم الله به من الضلال، وعلمكم من الجاهلية، ورد إليكم كرامتكم بعد العار، وكثر عددكم بعد الحرمان. وبعد أن طعن معاوية في حقي انصرفت إلى مصلحة البلاد وإطفاء الفتنة، ولأنكم كنتم قد وعدتموني بالولاء ما دامت صلحت من حاربته وقاتلته، فقد قررت أن أقطع عداوتنا بالصلح مع معاوية وبيعة له، وأدركت أن حفظ الدم أولى من إهداره، وأن قصدي لمصلحتكم ونجاتكم إلا أنتم". لا أعلم هل هذا اختبار لك أم حل مؤقت»[39].

الإمام الحسن (ع) في خطبته استخدم كلمات ذات اصوات لينة كـ«حامد، شاهد، رسول، أكيس، التقى، الفجور، جالق، جابر، رسول، هداكم، جدي، الظلالة، الجهالة، نازعني، بايعتموني، تسالمون، سالمت، تحاربون، حاربت، أسالم، الدماء صلاحكم، بقاءكم، متاع، وحين». وموجز القول أنّ الإيقاع الذي تميز به خطابه السياسيّ جاء صادقاً وتلقائياً وغير متكلف، فقد عبّر من صدق المتحدث والفعاله بالموقف وتفاعله معه، واستجابته المباشرة له في عضوية مطلقة. فرضها عليه الموقف الطارئ وقد أبرز الإيقاع القيمة التعبيرية للكلمات، والجمل، كما عكس تنوعه الفكرة، والصورة والإحساس.

2. طبقة الصوت pitch

تعنى مستوى ارتفاع الصوت وانخفاضه، وهو أمر نسبي يتطلبه المعنى المراد من السياق اللغوي[40]. لدينا ضروب مختلفة لطبقات الصوت في الخطابات كالمستوى المنخفض أو الهابط، والمستوى المتوسط، والمستوى العالى أو المرتفع، والمستوى الأعلى. وحينما ننظر الى الخطب السياسيّة للإمام الحسن نجد أنّه يستعمل الطبقات الصوتيّة حسب سياق الحال ((contex of Situation). أنظروا إلى خطبة ألقاها في الكوفة وقد دعا الناس إلى مساعدة أبيه:

«جئنا ندعوك إلى الله وكتابه وسنة رسوله، نريدك أن تكون ولياً لأعلم المسلمين، وأعدلهم، وأفضلهم، وأعلمهم، نريدك أن تكون ولياً لمن لم يضعفه القرآن، ولم يجهله السنة، ولم يوقفه سبق، نريدك أن تكون ولياً لمن قربه الله تعالى من رسوله بقرابتين: قرابة الدين والنسب، من عمل الخير قبلهم، من بعث الله إليه رسوله وغفل الناس عنه، فقام إليه وهم بعيدون، وصلى معه وهم يعبدون آلهة كثيرة، وقاتل معه وهم منهزمون، وخرج معه وهم منهزمون، وصدقه وهم كاذبون، من لم ترد إليه راية ولم يعادله سبق. إنه يدعوكم إلى النصر ويدعوكم إلى الحق ويأمركم بالسير إليه حتى تنصروه وتنصروه على قوم خالفوا عهده وقتلوا الصالحين من أصحابه ومثلوا بعماله وسرقوا أمواله، فانطلقوا إليه يغفر الله لكم، فأمر الناس بالحق ولا تفعلوا الباطل، وافعلوا ما يفعل الصالحون»[41].

حينما نخوض في قراءة هذه الخطبة نجد أنّة استخدم الجملة الإنشائيّة (أيّها النّاس) وبعد ذلك أتى بالجملة بالخبرية مباشراً (إِنَّا جِئْنَا نَدْعُوكُمْ إِلَى اللهِ وَإِلَى كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ.....). إنّ الجمل الإنشائيّة والخبريّة تتضمّنا أعلى مستوى من الطبقة الصوتية ويقع النبر فيها على الجزء المراد به المعنى[42]. الملقي استخدم «إنّ» ليؤكّد على مهمتهم أي الدعوة إلى كتاب الله وسنّة رسوله. وفي أثناء كلامه يميل الى استخدام الجمل التقريريّة ذات طبقة الصوت الهابطة وفي ختام كلامه مرة أخرى يميل الى ارتفاع بصوته مستخدما الجمل الإنشائيّة: «رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ واحْضُرُوا بِمَا يَحْضُرُ بِهِ الصَّالِحُونَ». الجملة الدعائيّة «رحمكم الله» وأفعال الأمر مثل: «مروا»، و «انهوا»، و«احضروا». جدير بالذكر أنّ الملقي قد استخدم أساليب إنشائية كالنداء والأمر والتي تتطلب استجابة مباشرة من الطرف الموجه إليه وهذه من ميزات الخطاب المنطوق.

3- الجناس (Alliteration)

على المستوى الصوتي، قد يستخدم الخطاب السياسي أساليب بلاغية كالجناس، والتي تتمثل في تشابه اللفظين في النطق مع اختلافهما في المعنى أو عدد الحروف.). أنظروا إلى هذه العبارت التي جاءت في الخطبة التي دعا الأمام الحسن أصحابه إلى قتال المعاوية:

«... لأنّه لم يمتنع قوم قطّ إلّا دفع الله عنهم العلّة وكفاهم حوائج الذلّة وهداهم إلى معالم الملّة»[43]، و«العلّة»، «الذلّة»، و«الملّة» فاختلاف الفونيم في «العلّة» (العين»، والذلّة (ذال)، و الملّة (الميم) جعل لكلّ منهما دلالة خاصّة في المعنى. لفونيمات (ع، ذ، م) المعاني المختلفة في الأسماء الثلاثة. الإمام الحسن يستخدم الفونيم المختلفة لتأدية الوظيفتين:

إحداهما: إيجابية، وهي تحديد معنى الكلمة التى تحتوى عليه، وتلك وظيفته الأساسية.
وثانيهما: إن كون الكلمة سلبية أو ثانوية يظهر من خلال منع اختلاط الكلمة بكلمات أخرى تشترك معها في معظم أو بعض أصواتها. على سبيل المثال، تشترك كلمة "عيب" و"إذلال" في معظم أصواتهما، باستثناء "العلّة" و" والذلّة".
استخدم الإمام الحسن في هذه الفقرة الجناس بين كلمات كـ«علّة»، و « ملّة»، و « ذلّة». «هذا الجناس تقبله اللغة ويستسيغه السمع وتستأنس به النفس، ويستجيب له المخاطب، لما في ذلك من حمل لأحدهما الاخر أو لتجاورهما»[44].

4-السجع (Assonance)

السجع جمعها أسجاع وأساجيع مأخوذة من سجع يَسجَع سجعًا: استوى واستقام، والسجع: الكلام المقفى، وسجّع تسجيعاً: تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن (ابن منظور: ذيل مادّة سجع). يعرف السجع اصطلاحاً بأنه تواطؤ الفاصلتان في النشر على حرف واحد[45]، كما ورد مصطلح السجع عند العلوي (ت 749هـ) في كتابه الطراز: هو اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف، أو في الوزن، أو في مجموعهما[46].
وظّف الإمام الحسن (ع) السجع في بعض خطاباته السياسيّة لإيجاد الإيقاع المؤثر لدى المتلقين فزاد كلامه حسناً، الإمام الحسن كملقٍ بارعٍ وظّف السجع في مستهل خطبه لفت اهتمام المتلقّين، على سبيل المثال ولا الحصر أنظروا إلى الخطبة التي ألقاها بعد البيعة للمعاوية:
«نحن حزب الله الغالبون، وأهل بيت رسوله الخاصين، وأهل بيته الطيبين الطاهرين، وأحد الثقلين اللذين تركهما رسول الله صلى الله عليه وآله في أمته، وهذا كتاب من الله فيه تفصيل كل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[47].

فما إن وافق الحسن بن علي عليهما السلام على الصلح مع معاوية حتى خرج يبحث عنه، فقام معاوية ليخطب عند لقائه، فلما وقف على المنبر أمر الحسن عليه السلام أن ينزل درجة، فتكلم معاوية فقال: أيها الناس هذا الحسن بن علي ابن فاطمة، فلم يكن يظن أنه أهل للملك، ولكني كنت أهلاً لذلك، فاختار أن يأتي إلينا ويقسم البيعة، ثم قال: قم يا الحسن، فقام الحسن عليه السلام وخطب، ولجذب انتباه الناس بدأ بقافية:
«الحَمْدُ لِلهِ الْمُسْتَحْمِدِ بِالْآلَاءِ وَتَتَابِعِ النَّعْمَاءِ وَصَارِفِ الشَّدَائِدِ وَالْبَلَاءِ عِنْدَ الشُّهَمَاءِ وَغَيْرِ الْهَمَاءِ الْمُذْعِنِينَ مِنْ عِبَادِهِ لِامْتِنَاعِهِ بِجَلَالِهِ وَكَبْرِيَاتِهِ وَعُلُوِهِ عَنْ لحُوقِ الْأَوْهَامِ بِبَقَائِهِ الْمُرْتَفَعِ عَنْ كُنْهِ ظِنَانَةِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ أَنْ تُحَبِطَ بِمَكْنُونِ غَيْبِهِ رَوِيَّاتُ عُقُولِ الرَّائِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ فِي رُبُوبِيَّةِ وُجُودِهِ وَوَحَدَائِيَّتِهِ صَمَداً لَا شَرِيكَ لَهُ فَرْداً لَا ظَهِيرَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ اصْطَفَاهُ وَانتَجَبَهُ وَ ارْتَضَاهُ وَبَعَثَهُ دَاعِياً إِلَى الْحَقِّ وَ سِرَاجاً مُنِيرًا وَ لِلْعِبَادِ مِمَّا يَخَافُونَ نَذِيراً وَ لِمَا يَأْمَلُونَ بَشِيرًا فَنَصَحَ لِلْأُمَّةِ وَ صَدَعَ بِالرِّسَالَةِ وَأَبَانَ لَهُمْ دَرَجَاتِ الْعِمَالَةِ شَهَادَةً»[48].

كلنا نعلم أن المتكلم ينتبه إلى بداية النص لأنها أول ما يسمعه القارئ أو أول ما يثير اهتمامه، وحين نتحدث عن بداية النص فإن أول ما يتبادر إلى ذهننا هو ما قاله النقاد واللغويون العرب عن روعة الافتتاحية وأهمية الاهتمام

بها، كما يقول ابن رشيق: «القصيدة مثل القفل، البداية هي المفتاح. يجب على الشاعر أن يجتهد في بداية عمله لأنها أول ما يسمعه الناس ومن خلالها يمكنهم معرفة ما يدور في ذهن الشاعر من النظرة الأولى...»[49].
السجع نوع من الإيقاع التجاورية وحينما ننظر إلى الخطب الإمام الحسن(ع) نجد هذا النوع من الإيقاع في الاستماع خاصة في استهلال الخطب أيضاً والهدف في هذا النوع من الإيقاع ايجاد التحفيز في المستمع و اقناع دون وعي.
الإمام الحسن يوظف ضروب السجع في خطبه السياسيّة كالسجع المتوازي أو الموازي هو رعاية الكلمتين الأخيرتين في الوزن والروي، وهو أشرف أنواع السجع، ومثال ذلک ما وقع منه في الخطبة التي ألقاها في الكوفة قبل الصلح:
« فان الله قد هداكم باولنا، و حقن دمائكم باخرنا»[50]، و أيضا يستخدم السجع المتطرف أو المطرّف و هو أن تتفق الكلمتان الأخيرتان في الحرف الأخير (أي حروف السجع) و اختلافهما في الوزن[51] ككلام وجهه إلى اهل العراق لمّا وقع الصلح: **« يا اهل العراق! انه سخى بنفسى عنكم ثلاث: قتلكم ابى وطعنكم اياى و انتهابكم متاعى**[51].

لقد استخدم الإمام الحسن (عليه السلام) في خطبته القافية ليجعل الناس يتفقون مع ما قاله الآخرون، كما أن من يسمع القافية يستطيع أن يحافظ على جزء من سمعه ثابتاً، مما يساعده على فهم الأخبار بسرعة.

ـ أهم ما توصل اليهِ البحث من نتائج:

1- لقد أبدع الإمام الحسن في استخدام الألفاظ والعبارات التي تنطوي على أصوات ليّنة في خطبه وكلماته. فهو أدرك أن هذه الأصوات المتدفقة والسلسة أكثر وضوحًا للسمع، وأعمق تأثيرًا في نفوس السامعين مقارنةً بالأصوات الساكنة الصلبة. فعند تحليل خطبة الإمام الحسن بعد إبرام الصلح، نلحظ كيف انتقى ألفاظًا ذات إيقاع ناعم وانسيابي،. فاستخدام كلمات مثل "جمعكم"، و"ألّف"، و"قلوبكم" التي تتميز بأصوات لينة كالميم والألف والواو، جعلت الخطاب أكثر عذوبة وطواعية في الأذن.

2.الإمام الحسن (ع) أهتم باتيان بالعبارات المسجعّة في خطبه ولا سيّما الخطب السياسيّة لفت أنظار مخاطبيه وأراد أن يقتنع بها المتلقي برأي الأخر. الكلام المسجع اثار مشاعر متلقيه. هو يقصد باستخدام السجع في الكلام تسخيرَ عقول مخاطبيه بعد أن سخّر أحاسيسهم ومشاعيرهم.

3. نجد في خطب الإمام الحسن (ع) الطبقات الصوتيّة المختلفة واستخدمت هذه الطبقات الصوتيّة حسب أسيقة الحال التي عاشها الإمام الحسن (ع). عادة في مقدّمة الخطب الحربيّة وخاتمتها نجد الطبقات الصوتيّة العاليّة و أيضاً الإمام الحسن رفع طبقة صوته طيلة الخطب السياسيّة مستخدماً النداء، والأمر والاستفهام.

الهوامش:

1.المسدي، 2008: 170
2.آقا كلزاده، 2010: 11
3.ابن منظور، 1989

4.مجمع اللغة العربيّة، 2003: ص 243
5.الزمخشري، 1985، ج1: 238
6.سورة ص: الآية 23
7.سورة الفرقان، 63
8.سورة ص، الآية 20
9.الزمخشري، 1977: ص81
10.إدريس حمادي،1994: 21
11.بوقرة، 2009: 13-15
12.دايک،2000: 14
13.محمد داود، 2003: 14-15
14. مشنتل، فاطمة الزهراء؛ حساينة، خديجة، 2020: 32- 33.
15.راجع: مشنتل، فاطمة الزهراء؛ حساينة، خديجة، 2020: 32
16.عماد اللطيف، 2014: 9
17.كليب، 2017: 117-118
18.آل عمران /140
19.ابن فارس، د.ت، ج2: 314
20.مقبول، 2006: 264 و 265
21.مانغونو، 1428: 52
22.المصدر نفسه، 2017: 124
23.عكاشة، 2013: 9
24.ابن منظور، د. ت: ذيل مادّة ذرع
25.عكاشة، 2013: 15
26.المصدر نفسه، 2013: 16
27.صالح شاهين، 2015: 15.
28.السباعي، 2003: 47 -49
29.راجع: الخامنئي، 1391: 115 ـ 120
30.راجع: كليب، 2017: 187
31.العويني، 1988: 361
32.راجع: الخامنئي، 1391: 136
33.عكاشة، 2005: 217
34.عطاردي، 1373: 262
35.إبراهيم أنيس، 1979: 20
36.طاهري آشتياني و آخرون، 1394: 131
37.الطباطبائي، 1397: 75
38.الطباطبائي، 1397: 75

39.عكاشة، 2014: ص216
40.الطباطبائي، 1397: 161
41.راجع: عكاشة، 2014: 216
42.لطباطبائي، 167:1397
43.الحلبي، 1315: 187
44.الخطيب القزويني، د. ت: 220
45.ابن حمزة العلويّ، 1914: 3، 18
46.الطباطبائي، 1397: 48
47.الطباطبائي،1397: 56
48.القيرواني، 1981: 218
49.الطباطبائي، 1397: 320
50.الطباطبائي: 1397: 351

ـ المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. آقاكلزاده، فردوس.(2010م) **فرهنگ توصيفي تحليل گفتمان وكاربرد شناسي**. تهران: نشر علمى چاپ رامين.
2. ابن حمزة العلويّ، يحيى. (1914)، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، مصر: دار الكتب الخديويّة.
3. ابن فارس،، أحمد، (د.ت)، **معجم مقاييس اللغة**، تح: محمد السلام محمد هارون
4. دار الجبل، بيروت، لبنان، ابن منظور محمد بن مكرم. (1989م). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
5. إدريس حمادي، 1994: **الخطاب الشرعي وطرق استثماره**، الطبعة الأولى، بيروت، المركز الثقافي العربي.
6. أنيس أبراهيم، 1979: **الأصوات اللغويّة**، الطبع الرابع: مصر: مكتبة الأنجلو.
7. الحلبي، شهاب الدين ابو الثناء. (1315ه). **حسن التوسل الى صناعة الترسل**. القاهرة: مطبعة امين افندي هندية.
8. الخامنئى، سيد علي.(1391) **انسان 250 ساله، بيانات مقام معظم رهبرى درباره زندگى سياسى – مبارزاتى ائمه معصومين (ع)**. تهران: مؤسسه جهادي.
9. الخطيب القزويني،(د.ت). **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: عماد بسيوني زغلول، الطبعة الثالثة: بيروت – لبنان.
10. دايك، فان. (2000م). **النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**. ترجمة: عبد القادر قنيني. المغرب: دار افريقيا الشرق.
11. الزمخشري أبي القاسم جار الله، (1977): **الكشاف**، ط1، بيروت، دار الفكر.
12. السباعي، إبراهيم. (2003). **السيرة المختصرة للنبي(ص) وأهل بيته المعصومين**. المركز الإسلامي للدراسات، الطبعة الأولى.

13. طاهري آشتياني، كاظم و على غلامى، و أحمد اسلام بناه و مهدى أسماعيلي، و بهاء الدين قهرماني نجاد و سيد حسين سجادي تبار(1394)،
14. **موسوعة كلمات الإمام الحسن (ع)**، بژوهشكده باقر العلوم، الطبعة الأولى.
15. الطباطبائي، محمد حسن ميرجهاني(1397).**كنوز الحكم وفنون الكلم**. تحقيق وويرايش: جواد ولايي وسلمان محمودي، قم: طوبای محبت، الطبعة الثالثة..
16. عطاردي، عزيزالله،(د.ت). **مسند الإمام المجتبى**، تهران: عطارد.
17. عكاشة، محمود. (2005م). **لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال**. القاهرة: دار النشر للجامعات
18. . (2013م). **تحليل النص دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي**. القاهرة: مكتبة الرشيد.
19. عماد اللطيف(2014)، **الخطابة السياسيّة في العصر الحديث**، الطبعة الأولى، القاهرة، دار العين للنشر.
20. العويني، محمد علي. (1988م). **العلوم السياسية، دراسة في الاصول والنظريات والتطبيق**. بيروت: عالم الكتب.
21. القيرواني، إبن رشيق. (1981م). **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**. تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد. بيروت: دار الجيل.
22. كليب، سامي(2017)، **البراغماتيّة(القولفعليّة) في تحليل الخطاب السياسيّ خطاب ترامب و الملك سلمان نموذجاً**، الطبعة الأولى، دار الفارابي، بيروت– لبنان.
23. مانغونو، دومينيک. (1428) **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**. تحقيق: محمد يحياتن، الجزائر: الدار العربية للعلوم الناشرون، الطبعة الأولى.
24. محمد داود، محمد، 2003: **اللغة و السياسة في عالم مابعد 11سبتمبر**، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.
25. المسدي، عبدالسلام. (2008م). **الأسلوبية والأسلوب**. الكويت: دار سعاد الصباح.
26. مشنتل، فاطمة الزهراء، حساينيه، خديجة، (2020). **الخطاب السياسي في الجزائر خطابات القايد صالح أنموذجا – دراسة تداوليّة**– مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، كليّة الآداب و اللغات، جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشعبيّة.
27. مقبول، إدريس. (2006) **الأسس الإبستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه**. الأردن: عالم الكتاب الجديد، الطبعة الأولى.

يقطين، سعيد، (2005): **من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي**، ط1، بيروت، لبنان،، المركز الثقافي العربيّ.